

هنا ... يقف العبد بين يدي الرب ، ينحني راکماً أمام عرشه ، يمشو ساجداً عند قدميه ، لسانه المر يسبح بحمد الله وعظمته ، قلبه المحترق يعترف برؤيته ورحمته .

فمثل هذه الصورة من الايمان واقعية متوقعة من هذه الشخصية ، وهنا أتساءل عن واقعتها وتوقعها من شخصية المؤلف ، فلقد مرّ بمثل هذه التجربة ، وربما لم يكن حظه منها - فيما بدا على السطح للعين وللأذن - كحظ بطل قصته المؤمن ، الذي أقعدته مأساته عن الصلاة في المسجد ، ثم أنهضه إيمانه للصلاة في داره ، ووقفه إيمانه هذا الموقف ، الذي يخشع فيه العبد ، ويزيده خشوعاً أنه مفعجوع .

ولكن من يدري؟ ربما كان ما يبدو على السطح مما نقول ونفعل تحت وطأة ظروف قاسية مزلزلة من قبيل التجديف والزلزلة ، ولعل تحت هذا السطح المتوعر القاسي نبع الايمان يتفرق صافياً ، ثم لا يتفجر عيوناً إلا في أسمى اللحظات ، ولا ريب ان لحظة الكتابة من أسمى اللحظات التي تشحن فيها كل قدرات الأديب العاطفية والذهنية ، ولعلي بهذا أقدم تفسيراً لما يدعى ازدواج شخصية الأديب ، ولعلنا لو كنا ندري لرأينا أنه ليس ثمة من فارق بين المؤلف وبطله في جوهر هذا الايمان ، أو لرأينا أن البطل ، في صورته المثلى التي هو عليها ، يمثل النموذج الذي تنشده أحماق المؤلف ، وتتنوق إلى أن يكونه ، ولو صح ذلك لكان خلق البطل في هذا التقويم الأحسن ، صياغة موضوعية ، تسربت اليها ذات المؤلف على نحو مشروع ومحمود .

وبعد ..

لقد ذكر المؤلف في كلمة الإهداء الكريمة ، أن القصة كانت من وحي جدل دار بينه وبينه . ولقد رأينا القصة تنتصر لجانب الايمان بالله ، ولجانب الايمان بالحياة ، أما الانتصار لجانب الايمان بالله فلأن الرجل نهض إلى صلاته وخشوعه ،